المخططات المبكرة المختلة كعوامل سببية كامنة من عوامل الفشل الأكاديمي : توجيهات في علاج مخطط الفشل لدى تلاميذ الطور التعليمي الثانوي

د. زبيدة الحطاح
أستاذ محاضر «ب»
جامعة يحي فارس المدية

الملخص :

تتناول هذه الدراسة المخططات المبكرة المختلة، و تحديدا مخطط الفشل، كعامل سببي من عوامل الفشل الأكاديمي، لكن الإشكالية أن هذا المخطط يصعب الاستبصار به من قبل التلاميذ الراسبين، و تشخيصه و رصده من قبل المختصيين التربويين و النفسانيين، بالنظر إلى أن جل المختصين و المهتمين بالشأن التربوي يركزون على بعض الأسباب المعروفة، و يتجاهلون هذا النوع من الباثولوجيا النفسية ذات التأثير الخفي الكامن في الشخصية، لذلك في الغالب، تفشل كل محاولات استدراك الفشل و الرسوب حينما يتم معالجة كل العوامل ذات الصلة بالتحصيل و النجاح و الإنجاز، عدا هذه العوامل

وعليه، تحاول هذه الدراسة التعريف بهذه المخططات التي افترضها جيفري يونغ في نظريته الحديثة (2003)، و تبيان العلاقة القائمة بين الفشل الأكاديمي و مخطط الفشل، مع اقتراح جملة من الأساليب التدخلية العلاجية

الكلمات المفتاحية : الفشل الأكاديمي، المخططات المبكرة المختلة، مخطط الفشل،

Résumé

Cet article étudie les schémas précoces inadaptés, notamment le schéma d' échec, comme l'un des facteurs primordiaux de l'échec académique. la problématique que nous exposons, réside dans le fait que ce schéma est imperceptible par l'élève lui-même, il échappe a sa conscience et son insight, comme il est difficile de le diagnostiquer par les spécialistes, car la plupart d'entre eux focalisent leur intention sur les causes déjà connues,

et négligent ce type de pathologie psychique dont l'influence nocive sur la personnalité est très implicite et très destructif, et par conséquent, toutes les interventions prophylactiques et de remédiation sont inefficaces, étant donné que ce travail thérapeutique ne cible pas les causes réelles du problème posé .

Nous essayions par le biais de cet article de donner un aperçu sur ces schémas, et un éclaircissement sur la relation causale entre le schéma d'échec et l'échec académique, tout en proposant quelques stratégies thérapeutiques

مقدمة:

أصبح الفشل الأكاديمي من أكثر المواضيع تداولا، خاصة في بلد لا يقدر فيه المواطن إلا إذا حمل شهادة تؤهله في عمله. و لقد أثبتت الدراسات أن الطلبة الفاشلين دراسيا في التعليم الثانوي (امتحان البكالوريا) هم أكثر عددا من المتحصلين على الشهادة (M.A.Rafoth،2004)

وعليه، تعد الوقاية من الفشل الأكاديمي و استدراكه، من أكبر تحديات التي تواجه المهتمين بالشأن التربوي، ذلك لأن الفاشلين أكاديميا يعانون من آثاره نفسيا واجتماعيا واقتصاديا، حيث تؤدي أسبابه إلى مضاعفات نفسية و أسرية، واجتماعية،واقتصادية، وثقافية. ولمساعدة الفاشلين أكاديميا يجب الأخذ بعين الاعتبار الجوانب الثلاثة: الوقاية، والتدخل والعلاج. إذ يمكن عبر البرامج الوقائية التدخلية تسهيل عملية النمو وطريقة التعلم، كما أن البرامج العلاجية المطبقة لدى حدوث الفشل الأكاديمي تكون ناجعة في وقتها (Rafoth, A. M. 2004).غير أن تعدد عوامل الفشل، يصعب من عملية تشخيص و تحديد الأسباب بدقة ، خاصة إذ ما كانت بعض من هذه العوامل نفسية خفية ذات تأثير كامن في الشخصية، كالمخططات المبكرة المختلة، وبالتالي تفشل كل هذه المحاولات التدخلية.

الإشكالية

لقد أخذت مشكلة الفشل الأكاديمي حيزا كبيرا من اهتمام القائمين على الميدان التربوي والأكاديمي ،باعتبار مخلفاتها تمس الطالب والمجتمع على حد سواء،إذ باتت تشكل أحد المعضلات التي ينبغي معالجتها من خلال دراسات ميدانية تكشف عن أبعادها وعواملها المتعددة .

ولقد اتفق أخصائيو البيداغوجيا على أن هناك اختلاف في تعلم الفرد الذي يتحكم في نجاحه أو فشله الأكاديمي، حيث نجد بعض التلاميذ الحاصلين على نتائج جيدة على مدار السنة يفشلون أو يخفقون في امتحان آخر الطور، في حين يتحصل آخرون على نتائج سيئة، لكنهم ينجحون ويمرون إلى الطور الأعلى. مثل هذا الإشكال يطرح كثيرا في شهادة البكالوريا، مما دعا البعض من المختصين إلى دراسة هذه الظاهرة التربوية وتحديد عواملها.

هذا و قد انصب اهتمام الباحثين و الأساتذة في دراسة أسباب هذه الظاهرة بكل ما هو متعلق بعوامل جسدية صحية، كالمرض المفاجئ، أو عوامل سلوكية انضباطية كظاهرة الغش، أو عوامل نفسية معرفية عقلية ، كالكف المعرفي، وقلق الامتحان، وشرود الذهن، غير أن ما طرحه يونغ و آخرون (2003) من خلال نظرية المخططات المبكرة المختلة ، يفتح آفاق واسعة لفهم بعض من العوامل النفسية الكامنة للفشل الأكاديمي ، و يتعلق الأمر ببعض المخططات المعرفية ذات الصلة بهذه الظاهرة ، كمخطط الفشل خاصة في حالة إعادة تنشيطها من قبل المواقف الضاغطة، بما فيها مواقف الإنجاز كامتحان البكالوريا ، بالموازاة مع استخدام الأساليب التكيفية المختلة، الأمر الذي من شأنه أن يقلل من إمكانات الطالب المعرفية والنفسية في التعامل مع هذا الموقف ومتطلباته المتعددة. غير أن الإشكال في هذه الحالة ،هو أن هذا المخطط يدفع التلميذ إلى الرسوب بطريقة خفية حيث لا يمكن رصد سببيته و لا ملاحظة طريقة تأثيره ، وبالتالي يعزى الفشل إلى عوامل أخرى غير هذا العامل ، ما يفضي إلى طرح حلول غير فاعلة و معالجة خاطئة تزيدان الوضع سوءا، ذلك لأن المخطط الفشل ، من خلال الأساليب التكيفية المختلة ، و تحديدا التجنب و الخضوع، يؤثر في التلميذ بطريقة كامن غير معلنة، لا يعيها و لا يستبصرها ، و تغيب حتى عن ملاحظة و تشخيص المختص النفساني . لذلك تحاول هذه الدراسة أن تتناول العلاقة بين الفشل الأكاديمي و مخطط الفشل، وهي العلاقة التي من الصعب رصدها و تحديدها بالنظر للطبيعة المعقدة لنشوء هذا المخططات و سيرها و عملها و طرق تأثيرها في الشخصية ، وهنا تأتي صعوبة إقامة مثل هذه العلاقة السببية، ما يبقي ظاهرة الفشل الأكاديمي المرتبطة بهذه العوامل بمنأى عن فهم المختصين و الباحثين ، وبالتالي أبعد من إمكانية بلورة الأساليب التدخلية و الوقائية المناسبة،و قبل أن نتناول هذه العلاقة من خلال سيرورتها الزمنية و آلياتها المعرفية و الانفعالية، يجدر السياق بأن نتعرض أولا للفشل الأكاديمي وفق الافتراضات و التفسيرات المعروفة التي كانت محل دراسات و بحوث مستفيضة.

مفهوم الفشل الأكاديمي

عرف مانوني Mannauni الفشل بأنه اضطرابات من مختلف الأنواع ذات الطبيعة الصعبة والمتغيرة. وغالبا ما يقاس الفشل الأكاديمي تقليديا بالعناصر المحسوبة مثل النقاط الضعيفة، والترتيب السيئ، الرسوب والتأخر، عدم الاهتمام، واضطراب الامتحانات، عدم الرغبة في الدراسة، والرسوب في الامتحان. ويعرفه أيضا سيريل (Cyrille et Cahen، 1996) بأنه يفسر بمصطلح الطاقوي حيث يوجد انحراف للطاقة، وهو من مسئولية التلميذ وأسبابه غير محببة، ويستعمل فيه السياق السلبي لأجل بناء سلوك الفشل ومن أهم أسبابه سوء تقدير الذات للمتعلم.

كما يعرف رافوث (Rafoth، 2004)، الفشل أنه خطأ أو عيب ظاهر في الانتقال إلى

المستوى الأعلى على افتراض أن الكفاءات والمعارف المدروسة لم تكتسب من أجل الالتحاق بمختلف المراحل سريعا يؤدي إلى التوقف النهائي عن الدراسة في المدرسة أو الجامعة مما يعني فعلا أنه الفشل.

وهو يعني أيضا غياب اكتساب مجموعة من الكفاءات التي يتطلب تعلمها وعدم القدرة في التوثيق الرسمي للتخرج من قبيل النظام الأكاديمي.

ويرى تورنو لانسمان (Tournour. Lunsmon. 1990)، أن الفشل يحدث عندما يكون الفرق بين النتائج المنتظرة والنتائج المتحصل عليها مقارنة مع العتبة، فإن كان هذا الفرق واسعا أدى إلى الإحباط وعدم الرضا.

الفشل الأكاديمي و الرسوب في امتحان البكالوريا

من بين أبرز مظاهر الفشل الأكاديمي، الرسوب في امتحان البكالوريا حيث لا يستطيع التلميذ أو المتعلم أن يتحصل على معدل يسمح له بالانتقال إلى مستوى التعليم الجامعي. وتأخذ هذه المشكلة أبعادا جد خطيرة إذا أضحت تشكل ظاهرة واضحة للعيان، ولا تقتصر على فئة محدودة العدد. إذ أفادت الإحصائيات الرسمية المتعلقة بنسب النجاح في هذا الامتحان في الجزائر حسب الديوان الوطني للإحصاء أن نسبة النجاح في امتحان البكالوريا سنة 2000 قد قدرت بـ41.41 %، أي بنسبة رسوب تناهز59 %، وقدرت نسبة النجاح في سنة 2001 بـ38.16 %، أي بنسبة رسوب61 %، في سنة 2002 بلغت نسبة الناجحين في هذا الامتحان33.92 %، أي ما يقارب 66 % من نسبة الفاشلين، ولم تتجاوز نسبة النجاح سنة 2003 عتبة 31.97%، وذات الرقم سجل تقريبا في سنة 2004 حيث بلغت النسبة32.61 %، أي بمعدل نسبة فشل قدرها 64 %. (الديوان الوطني للإحصاء.الجزائر. 2011)

وعلى الرغم أن نسبة الرسوب قد تقلصت مؤخرا ،حيث بلغت نسبة النجاح في سنة 2007 حدود 53.29 %، أي بنسبة فشل تقدر بحوالي46%، لتناهز نسبة النجاح في سنة 2010 حدود61.23%، وهي أعلى نسبة نجاح في الجزائر منذ الاستقلال،أي بنسبة 39 %من الراسبين، حيث فسرت هذه القفزة الإحصائية بالإصلاحات التي أقرتها وزارة التربية في المنظومة التربوية، إلا أن هذا الرقم يبقى يشكل هاجسا للمهتمين بالشأن التربوي ، من مسؤولين، وخبراء ، وأساتذة ، وباحثين ، وتلاميذ وأولياؤهم على حد سواء. كما أن هذه النسبة جد مرتفعة قياسا بتلك المتعلقة بفرنسا حيث لم تتجاوز نسبة الرسوب في هذا البلد 20 % سنة2010. بينما تشير إحصائيات 2002 بالولايات المتحدة، أن تعداد الفاشلين في الانتقال من الثانوية إلى الجامعة يصل إلى 33% (Barry, Thampsonn 2002).

ويعد هذا الفشل من بين المشكلات التربوية والأكاديمية التي تواجه المختصين التعليميين والمشرفين التربويين على المنظومة التربوية والتعليم الجامعي، وأعقد المعضلات لدى الطلاب الفاشلين، نظرا لما يترتب عنها من مشكلات أخرى ذات طابع نفسي واجتماعي واقتصادي.

أسباب الفشل الأكاديمي

من الواضح على غرار كل الظواهر النفسية والتربوية والاجتماعية ، فإن سببية الفشل الأكاديمي متعدد العوامل، إذا تناولنا الموضوع من جوانبه المختلفة وبمنظور أشمل، خاصة بما يتعلق بالتحصيل الدراسي، فقد أتفق معظم الباحثين أن الذكاء والدافعية يعتبران من أهم العوامل المساهمة في تفسير الفروق الفردية في التحصيل لدى التلاميذ (Gagné et st Père،2001).

لا يزال الاعتقاد سائدا خاصة لدى الحس المشترك أن الذكاء المعرفي هو وحده كفيل بتحقيق النجاح، وضعف مستواه يفضي إلى الرسوب. وهذا الافتراض يعد صائبا نسبيا، إذ دلت دراسة لوكلارك وآخرون (Leclerc et al،2010) أن معامل الارتباط بين نسبة الذكاء والتحصيل الدراسي تقدر ما بين 0.50 ، و0.60. فيما أشارت نتائج دراسة لو، ونيسي وآخرون (Lau and Roeser،2002) أن معامل الارتباط بين نسبة الذكاء والتحصيل قد قدرب0.50.

على الرغم من الإقرار بأهمية تأثير هذا العامل في تحديد التحصيل ، أو النجاح والرسوب، فإن الكثير من الباحثين والأخصائيين التربويين والنفسانيين يدعون إلى ضرورة الانتباه إلى عوامل أخرى، كالجوانب النفسية والشخصية، حيث يرى كل من شامورو بريموزيك، وفورهام (Chamorro-Premuzic and Furnham،2006)أن مقاييس القدرة العقلية وحدها غير كافية للتنبؤ بالأداء الأكاديمي بأكبر دقة ممكنة، ويمكن التوصل إلى هذا التنبؤ من خلال الكشف عن المتغيرات المصاحبة للسيرورات التي تؤدي إلى الفروق في النتيجة أو المعيار.

ويخلص هذين الباحثين (Chamorro-Premuzic and Furnham،2003b)إلى أنه إذا كان الذكاء يرمز إلى ما يمكن للشخص أن يفعله أو يحققه من خلال قدرات خاصة التي تساعد على الفهم والتعلم، فإن الشخصية تعبر عن كيفية تحقيقه من خلال السمات التي تدعم أو تثبط استخدام هذه القدرات، وبالتالي فإن استخدام سمات الشخصية كمنبئات يمكن أن يساهم في زيادة التباين في الأداء.

ويؤكد هذا الاستنتاج كل من أكرمان وهيجاستد (Ackerman and Heggestad،1997) حيث يعتبران أن فهم ما يمكن أن يفعله الفرد يتوقف جزئيا على سمات الشخصية، ولكن كذلك كمية الجهد العقلي الذي يبذله سواء في المدرسة أو العمل، أي النموذج الفردي للالتزام العقلي.

وعليه تشكل الشخصية بأبعادها الأخرى، خاصة النفسية، وفي أوسع معانيها، أحد العوامل التي تؤثر في الفشل الأكاديمي، حيث أكدت الكثير من الدراسات التي أجريت، أن الذين

يعانون من أزمات نفسية يفشلون في دراستهم.فالتلميذ شديد الحياء أو القلق أو غير المستقر، يجد عادة صعوبة كبيرة في التكيف مع جو المدرسة، كما يجد صعوبة في مواجهة المواقف التعليمية المختلفة، وقد ينتج عن ظاهرة الخوف من الامتحانات وضعف الثقة بالنفس، والعصبية العامة، والمحيط الاجتماعي والثقافي، اضطراب الطالب مما يسبب فشلا أكاديميا، حتى في أحيان عديدة يفشل الطلاب المتفوقون في امتحاناتهم وينجح الطلاب المتأخرون.

يعد النجاح في شهادة البكالوريا والالتحاق بالجامعة في نظر الكثير، الممر الوحيد والمقياس الأوحد للنجاح الأكاديمي والاجتماعي في نظر افراد المجتمع. مما جعل هذه التصورات الاجتماعية تتحول من عامل محفز للاستذكار والنجاح إلى عامل ضاغط لدى العديد من الطلاب، خاصة أولئك الذين يفتقرون إلى الشخصية ذات الصلابة النفسية القادرة على مواجهة مختلف الضغوط النفسية والاجتماعية والتعامل بمرونة وتفتح وفعالية مع المنهاج الدراسي وظروف الامتحان ومتطلباته المعرفية والنفسية. فيرى (عز الدين، عطية جميل. 1999. ص 196)، أن الفشل يرتبط بالرفض، والنجاح يرتبط بالتقبل الاجتماعي. وقد بين فولكس (Folkes 1978)، أن الفشل في الامتحان هو الأكثر إثارة للتساؤل من النجاح، وأن النتائج غير المتوقعة هي التي تؤدي بالفرد إلى محاولة البحث عن الأسباب أكثر من تلك المتوقعة خاصة إذا ما كانت تهم الفرد أكثر من الآخرين.

وترى ليزا سالدوريدج و آخرون (Seldouridge and al. 2004)، أن هناك بعض المتغيرات تدخل ساعة إجراء امتحان البكالوريا: الخبرة، الاختبارات، الحاسوب، الانفعالات، التعب، المرض، المسئولية العائلية، متطلبات العمل، العمر، العرق، اللغة الأم، زمن إجراء الامتحان، والمواقف تجاه الامتحان.

ويرى ماكميمان و آخرون (Mc Miman, James H. and al 2008)، أن نتيجة الفشل في امتحان البكالوريا، ينهي كثير من التلاميذ الدراسة الثانوية. ويرى أيضا أن هذا الفشل يرجع إلى قلة التركيز في التحكم الداخلي والعزو لعوامل صحية داخلية، وإلى المسئولية الشخصية والنظرة السيئة الغريبة للقدرات الذاتية. بذلك تشكل الجوانب النفسية للشخصية أحد العوامل الأساسية التي ترتبط بهذا النوع من الفشل الأكاديمي (سلبا)

الفشل الأكاديمي و المخططات المبكرة المختلة

من بين أهم العوامل النفسية التي لم تستقطب بعد اهتمام الباحثين و الأساتذة و المهتمين بالشأن التربوي بالقدر المطلوب ، ما يسمى بالمخططات المبكرة المختلة التي افترضها جيفري يونغ كبنى معرفية انفعالية تؤثر في السلوك و المعارف و الانفعال و الشخصية، وبالتالي كل ما يتعلق بفعالية و نجاح و اخفاق و فشل الفرد في شتى مجالات حياته ، و تحديد في مجال الدراسة.

تعريف المخططات المبكرة المختلة :

يعد المخطط المبكر المختل، وفق تعريف (Young، Klosko، Weishaar, 2003) نموذجا أو موضوعا هاما وكاسحا Envahissant يتشكّل من ذكريات، انفعالات، معارف، إحساسات جسدية تتعلّق بالذات وعلاقتها بالآخرين. تتكوّن خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة،تثرى على مدار حياة الفرد،مختلة بشكل دال.

و هي أيضا نماذج معرفية وانفعالية، ذاتية الانهزامية، تظهر مبكرا ويتكرر بروزها خلال كل الحياة، وهي غير شعورية ومتواجدة في الذاكرة طويلة المدى تأخذ منبعها من الطفولة والمراهقة، وتسيطر على حياة الفرد في مرحلة الرشد وهي مؤلمة، فهي تمثل عبء الماضي على مستقبل الفرد، فسلوك الفرد لا ينتمي إلى المخطط نفسه بل تتطور السلوكيات غير المكيفة استجابة لمخطط ما، وبالتالي تبنى من قبل المخططات ولكنها لا تنتمي إليها، أي أن السلوك ليس هو المخطط وإنما يتجسد من خلال السلوك. وتمارس المخططات تأثيراتها على طريقة تفكير الفرد وتصرفاته وعلى علاقاته مع الآخرين، وتوقظ أحاسيس عنيفة مثل الغضب، والحزن، والقلق، وفي سن الرشد يقوم الفرد بإعادة بناء هيئة مُعَاشة وظروف مشابهة لتلك التي سادت في مرحلة الطفولة. وبالتالي تؤثر على بشكل جلي و هام على فعالية الفرد في مختلف مجالات حياته، خاصة ما تعلق بمجال الدراسة ، لارتباط ذلك بمراحل الطفولة و المراهقة و الرشد, و من هنا تحد هذه المخططات المختلة بشكل دال فرص النجاح و الإنجاز في الدراسة، إذ تقلل بصفة عامة من قدرة التلميذ على مواجهة الضغوط الاجتماعية وتلك المتعلقة بالتحضير والاستعداد للامتحان، من حافزية واستذكار واستيعاب، فضلا عن تلك الضغوط ذات الصلة بوضعية الامتحان ومتطلباته النفسية والمعرفية. غير أن هناك بعض من المخططات لا يكون تأثيرها مباشرا وهاما في ظاهرة الفشل فحسب ، بل يكون خفيا و كامنا ،و يتعلق الأمر تحديدا بمخطط الفشل.

أساليب التكيفية المختلة :

حدّد يونغ و آخرون (Young et al 2005) ثلاثة أساليب تكيّفية مختلة وهي:

أ- الخضوع للمخطط:

هناك من الأفراد من يخضعون إلى المخطط، حيث لا يحاولون تجنّبه أو مكافحته، فيستسلمون له، وبالتالي يشعرون بالانفعالات غير السارة الناتجة عنه. إنّ تصرفاتهم تدلّ على وجود المخطط. ودون وعي منهم، فإنّهم يكررون سيناريوهات الحياة التي يُمليها المخطّط، إلى درجة أنّهم يعايشون -كراشدين- الخبرات الطفولية التي أنشأت هذا المخطّط.

ب- تعويض المخطط:

يتجلّى التعويض في مثابرة الأفراد على مكافحة مخطّطهم المختل من خلال الأفكار، والانفعالات، والسلوكيات، والأشكال العلائقية المرتبطة بنقيض هذا المخطّط، أي أنّهم يفكّرون وينفعلون ويتصرفون عكس محتوى المخطّط، فهم يبذلون قصارى جهودهم حتى يكونوا مختلفين، ما أمكن، عن الأطفال الذين كانوا حينما تشكّل المخطّط ، إذ يحاولون أن يكونوا راشدين في صورة معاكسة عن ما كانوا عليه في مرحلة الطفولة، بحيث إذا كانوا خاضعين في صغرهم سيظهرون بمظهر الراشد المتمرد، حيث يلجؤون إلى محاولة التحكم في الآخرين أو رفض كلّ أشكال التأثير فإذا تعرّضوا لسوء المعاملة في الصغر، يسيئون معاملة الآخرين، إنّهم في حالة هجوم مضاد أمام مخطّطهم.

هناك بعض الأشخاص الناجحين في حياتهم يمكن إدراجهم في هذا الصنف من المعوضين، لكن في الغالب، يدفع الأسلوب التعويضي إلى التطرف. فالشخص الخاضع حينما يعوض هذا المخطّط، فإنّه يعمل على التحكّم والسيطرة على الآخرين، وبالتالي تصبح تصرفاته غير مثمرة، متطرفة، وخالية من الإحساس والتعاطف. وكذلك الحال بالنسبة للأشخاص الذين يشكون من مخطّط الحرمان العاطفي.

ج- تجنب المخطط:

يعمل الأفراد الذين يتبنّون الأسلوب التجنّبي على إدارة حياتهم وتنظيمها بالطريقة التي تستثار وتنشّط معها المخطّط أبدا.

يحاولون أن يعيشوا دون وعي بالمخطّط، كما لو أنّ هذا الأخير غير موجود تماما، حيث يتجنّبون التفكير فيه.فهم يوقفون ويتحاشون الأفكار والصور التي من شأنها تنشيط هذا المخطّط، وحينما تهدّد هذه الأفكار والصور باستثارة هذا المخطّط يلجؤون إلى طردها من أذهانهم عبر الإلهاء، فم يتجنّبون الشعور بالمخطّط، وإذا ما بزغت الانفعالات على السطح، يدفعونها بطريقة آلية من خلال سلوكيات الإدمان على الكحول، تناول العقاقير والأدوية، الأكل بشراهة، الغسل بطريقة قهرية، البحث عن الاستثارة، أو الإنهماك في الأنشطة الترفيهية.و بالتالي ينشغلون عن الدراسة و الاستذكار

عادة ما يتجنّبون الوضعيات التي من شأنها تنشيط المخطّط، مثل العلاقات الحميمية والتحدّيات الدراسية و المهنية .إنّهم يتحاشون عدّة مجالات الحياة التي قد تشعرهم أنّهم مهدّدون أو جدّ ضعفاء

مخطط الفشل و الفشل الأكاديمي

يعني مخطط الفشل اعتقاد صاحبه بأن الفشل يلازمه، ولا يمكن تجنبه، كما أنه يفتقر للقدرة على تحقيق النجاح، مثلما يفعله الآخرون، وفي جميع الحالات، سواء في المدرسة ، أو العمل، أو في النشاطات الاجتماعية الأخرى، وغيرها، مع اعتقاده بأنه أبله، غير كفء، دون مواهب، جاهل، وأقل شأنا من الآخرين.يشعر الأفراد الذين يعانون من مخطط الفشل، أنّهم قد فشلوا فشلا ذريعا في كافة مجالات حياتهم ، خاصة الدراسة. فهم يظنّون أنّهم غير أكفاء قياسا بالآخرين، ويفتقرون إلى الموهبة والذكاء والمزايا الذاتية، كما يظنّون أنّهم يفتقرون لأشياء ضرورية لتحقيق النجاح والإنجاز. فإذا تبنوا الأسلوب التكيّفي الخضوعي، فإنّهم يحطّمون أعمالهم و دراستهم وذواتهم بأنفسهم، حيث يدرسون و يذاكرون دون شغف وقناعة و حافزية، وإذا استخدموا الأسلوب التكيّفي التجنّبي، فإنّهم يميلون إلى التسويف وتأجيل واجباتهم وأعمالهم . وإذ لجأوا إلى الأسلوب التكيّفي التعويضي فتراهم يعملون دون هوادة ولا استراحة، أو يبذلون جهودا فوق طاقاتهم لتحقيق النجاح مهما كان الثمن، غلى درجة أنهم يجعلون أنفسهم عرضة للضغوط غير المحتملة، ما يؤدي بهم إلى الانهيار

من جهة أخرى ، يرتبط في الغالب مخطّط الفشل بمخطّط عدم الكفاءة حيث أنّ الشخص الذي يشعر بأنّه فشل في مجالات حياته، يشعر بالتالي بأنّه غير كفء.

أصول الفشل:

يرى يونغ و أخرون(2003)أن هناك عدة أصول لوجود الفشل كمخطط من ضمن المخططات المبكرة المختلة، حيث يكون مخطط الفشل قائما على:

- الحكم الغير عادل أو التعسفي لأحد الآباء على النتائج المدرسية لأبنائهم ووصفهم بأنهم غير أكفاء أو أغبياء؛
- متطلبات أو طموحات الآباء اتجاه الأبناء ومكانتهم المتصدرة في المجتمع والخوف من عدم الاقتداء بهم؛
- الانطباع بأن الآباء أو أحدهم يختلف عن رغبة ابنه في النجاح أو الشعور بأنهما يمثلان تهديدا لنجاحه حيث يعتبر نجاح ابنهم ابتعاد عنهما؛
- الخوف من الطرد من جماعة الرفاق المتفوقين في الدراسة والرياضة والشعور بالنقص اتجاههم أو بسبب صعوبة في التعلم وقلة التركيز وصعوبة القراءة؛
- الإقرار بدونية الطفل عند مقارنته مع إخوته الأحسن منه؛
- الإحساس بالدونية وعدم القدرة على تصنيف الطفل نفسه مع رفاقه من طبقات المجتمع من الناحية الاقتصادية والثقافية؛

- الفشل في الدراسة بسبب عدم النظام والانضباط والشعور بالمسئولية في القيام بالواجبات المدرسية والحفظ.

فخ الفشل:

يتجلى فخ الفشل في عدة مظاهر و مؤشرات يمكن تلخيصها فيما يلي :

- عدم تطوير المؤهلات المهنية والعملية (عدم مواصلة الدراسة، عدم البحث والمطالعة، رفض التربص عند المختصين)، مجاراة التيار والبحث عن خيانة الآخرين؛
- القبول بعمل لا يلائم مؤهلات الفرد الحقيقية؛
- عدم القيام بما تفترضه الاستمرارية والمواصلة والحد من الطموح كرفض المكافآت، ورفض التقييم، وعدم إظهار المؤهلات أمام الأشخاص بحجة طلب المساعدة؛
- عدم التردد في العمل من أجل الآخر وشغل منصب متدني؛
- تأجيل الأعمال؛
- عدم الثبات و الاستمرار في مزاولة مهنة معينة، ومنه عدم تطوير الكفاءات في أي ميدان والقيام بكل الأعمال وبأي عمل في عالم يتطلب التخصص، وبالتالي عدم الذهاب بعيدا؛
- اختيار أفضل وأحسن المهام و أصعبها بدون الأخذ بعين الاعتبار القدرة اللازمة لذلك؛
- عدم القدرة على أخذ القرارات في العمل وعدم تحمل المسئولية؛
- الشعور بالغباء وبدون مؤهلات والزيف والاحتيال رغم النجاح؛
- تصغير مواقف النجاح والمبالغة في تدوين نقاط الضعف والأخطاء والانطباع بالإحساس بالفشل رغم النجاح والعيش برغبة الفرد أنه لا يوجد ما يضيفه؛
- تعويض النجاحات القليلة بنقص المؤهلات في بعض الميادين بإعطاء أهمية كبيرة للبقية (الهيئة، الحيوية، الجمال، ...) وهذا عند اكتشاف أن الحياة فاشلة (Young and Klosko, 2003، P 287).

الوقاية من الفشل الأكاديمي

تتطلب الوقاية من الفشل الأكاديمي، تدخلا من قبل الأخصائيين في علم النفس المدرسي وعلم النفس العيادي، وذلك من خلال استخدام مقاييس المخططات المبكرة المختلة و الأساليب التكيفية في مسح شامل للتلاميذ ، خاصة في الطورين التعليميين الثاني و الثالث، حين تشرع هذه المخططات في التأثير السلبي على شخصية التلاميذ، و يتم من خلال هذه المقاييس ،تشخيص

الحالات التي تتطلب تدخلا علاجيا للقضاء على هذه المخططات أو الحد من تأثيرها، خاصة ما تعلق بالتحصيل و الإنجاز الدراسيين

الأهداف العلاجية:

يسعى الأخصائي في هذا السياق إلى تحقيق العديد من الأهداف العلاجية :

- مساعدة التلاميذ على الشعور بأنّهم أكفاء قادرين على تحقيق الإنجازات والنجاحات مثلما يفعله أقرانهم؛
- مساعدة التلاميذ على أن يصبحوا بالفعل أكفاء وفعالين ويحقّقون الإنجازات والنجاحات في حدود طاقاتهم وإمكاناتهم وقدراتهم؛
- يمكن للأخصائي أن يسلك عدة اتجاهات لتحقيق الأهداف العلاجية منها:
  - ✓ الرفع من مستوى الإنجاز والنجاح للتلاميذ بتنمية قدراتهم والثقة بالنفس؛
  - ✓ تعديل إدراكهم لمستوى الإنجاز حتى يقيموه تقييما إيجابيا موضوعيا بأنّه بالفعل نجاح وإنجاز ويستحق الاعتزاز به؛
  - ✓ من الممكن إقناع التلاميذ أنّ ما حقّقوه في دراستهم يتناسب مع قدراتهم التي لا يمكن تجاوزها، لذلك فهم قد نجحوا وحقّقوا نجاحات ضمن حدودهم الذاتية وطاقاتهم.

الاستراتيجيات العلاجية الأساسية:

من المهمّ أن يتمّ التعرف على أسباب الفشل حتى يستطيع المعالج تحديد بدقة العلاج المناسب، إذ من المحتمل أن يكون الفشل الأكاديمي ناتجا عن أسباب وراثية تتعلّق بمحدودية الذكاء والاستعدادات والموهبة في هذه الحالة، يتوجب على الأخصائي أن يساعد التلميذ على تنمية بعض من استعداداته وقدراته وتحديد أهداف واقعية حسب مستوى هذه القدرات. مثلما يحتمل أن يُعزى الفشل إلى التوجيه السيئ نحو دراسة لا تتوافق وقدرات العميل ونوع ذكائه، وعليه يمكن إعادة توجيه التلميذ لاختيار ما يتناسب مع قدراته ومواهبه. قد يرتبط الفشل بمخطّط نقص التحكّم الذاتي والانضباط الشخصي، وهو الأمر الذي يمنع التلميذ بأن يكون مثابرا منضبطا لتحقيق نجاح ما، أو يكون التلميذ مجتاحا من قبل مخطّط آخر، كمخطّط الحرمان العاطفي أو عدم الكفاءة.أو يكون التلميذ قد استخدم الأسلوب التكيّفي التجنّبي واستجاباته من قبيل تناول المخدرات والإدمان على الانترنت، ممارسة الأنشطة الملهية وغيرها، يجعله ينشغل عن تحقيق متطلّبات النجاح في الدراسة. وقد يكون الفشل إلى اضطراب تشتت الانتباه وفرط الحركة لذلك يوجّه العلاج بحسب سبب الفشل والمخطّط الكامن من وراء مخطّط الفشل.

أ-التقنيات المعرفية:

تساعد التلاميذ على استبصار بحالة الفشل لديهم. فإذا فشل هؤلاء التلاميذ بالفعل قياسا بأقرانهم، فيتوجب إعادة تعديل الإسناد السببي للفشل. من سبب داخلي ثابت إلى سبب داخلي متغير، إذ يعود ذلك إلى مخطّط الفشل الذي دفعهم إلى عرقلة نجاحهم. إذن المسؤول عن الفشل هو المخطّط وأسلوبي الخضوع والتجنّب وليس قدراتهم ومواهبهم وإمكاناتهم.

كما تستخدم التقنيات المعرفية في تصحيح بعض التحيزات المعرفية، حيث يتم التركيز على بعض التعثرات وتضخيمها وتجاهل العديد من النجاحات، إذ يساعد الأخصائي هؤلاء التلاميذ على التقييم الإيجابي لقدراتهم وكفاءاتهم وإنجازاتهم.

ب- التقنيات الانفعالية:

تساعد هذه التقنيات خاصة التخيل، الأخصائي على إعداد التلاميذ للتغير السلوكي والتخلّص من الانفعالات السلبية المرتبطة بالفشل. حيث يمكن للتلاميذ استرجاع خبرات الفشل عبر التخيّل، والتعبير عن الغضب اتجاه الأشخاص الذين ثبطوا عزائمهم وعرقلوا نجاحهم ولم يشجعوهم على النجاح، أو استهزأوا منهم واستحقروهم. وقد يكون هؤلاء الأشخاص في الغالب أصدقاء، أو الوالدين، أو الأخوة، أو حتى المعلّمين والأساتذة، والزملاء، ما يساعد التلاميذ على إعادة الإسناد أو العزو السببي للفشل إلى هؤلاء الأشخاص بدلا من اتهام ذاته بالقصور الوراثي افتقاره للمواهب والقدرات والكفاءات.

وذات التفريج الانفعالي يقوم به التلاميذ الذين عانوا من اضطراب تشتت الانتباه وفرط الحركة حيث أعاقهم هذا الاضطراب كثيرا ولم يجدوا الوسط المتفهّم لحالتهم، بل تعرّضوا لكلّ أنواع التثبيط والتوبيخ والعقاب بسبب سلوكيات لا يستطيعون السيطرة عليها، لذلك ينبغي أن يسترد هؤلاء التلاميذ هذه الخبرات المؤلمة المرتبطة بالاضطراب والفشل عبر التخيّل، ويعبّروا عن استيائهم وغضبهم للأشخاص الذين كان من المفترض بهم تفهم اضطرابهم ومساعدتهم على تجاوز حالتهم حتى يتمكّنوا من التعلّم وتحقيق النجاحات بدلا من معاقبتهم وتوبيخهم وتثبيطهم وتعزيز عوامل الفشل.

ج- التقنيات السلوكية:

يعدّ الجانب السلوكي الأهم في العملية العلاجية حيث يساعد المعالج العملاء على التخلّص من سلوكيات واستجابات الأساليب التكيّفية المختلة (الخضوع، التجنب، التعويض) للمخطّط واستبدالها بسلوكيات توافقية سوية، إذ يحدّد التلاميذ أهداف واقعية ومرامي متدرجة الصعوبة ويجتهدون في تحقيقها ضمن المهام المقدمة في العلاج، ويتابع الأخصائي سير تحقيق هذه الأهداف

والمرامي والمهام. ويساعد التلاميذ على تجاوز الصعوبات المحتملة لتجسيد هذه المهام كتلك المتعلقة بالكفاءات، أو القلق، أو عدم الانضباط والتسويف.

د- العلاقة العلاجية:

يقدم الأخصائي نفسه للتلاميذ كنموذج للسلوكيات التي تسعى لتحقيق النجاح، والمناقضة لمخطّط الفشل، وذلك من خلال عمله وإخلاصه وجدّه ومثابرته في علاجهم ، رغم كلّ الصعوبات والمعوقات، إذ يعطي القدوة الحسنة للتلاميذ وهو يمارس عمله، وبالتالي يستطيع التلاميذ التعلم بالنمذجة ممّا يلاحظوه على الاخصائي من جدّ ونشاط والتفاؤل وثقة بالنفس في الجلسات العلاجية.

هناك مخاطر من أنّ النجاح المهني للاخصائي لا يشكّل نموذجا يُحتذى به، وانّما له أثر عكسي سلبي، حيث يقارن التلاميذ ذواتهم وكفاءاتهم بالأخصائي وقد يشعرون أنّهم أقل كفاءة منه، لذلك ينبغي لهذا الأخير أن ينتبه لمثل هذه الأمور ليوجه التلاميذ إلى التركيز على تفعيل العوامل المساهمة في تحقيق أي نجاح.و خاصة النجاح الأكاديمي

يركّز المعالج في العلاقة العلاجية أيضا على التعزيز الإيجابي والتشجيع لكلّ خطوة إيجابية يقوم بها التلاميذ.

بالمحصلة، يتوجب على الأخصائيين التربويين و النفسانيين توجيه عملهم الوقائي ضد الفشل و التسرب المدرسي و الأكاديمي مراعاة هذا النوع من الباثولوجيا النفسية الخفية التي تؤثر في شخصية التلاميذ دون وعي منهم و استبصار، خاصة فيما تعلق بالتحصيل و الإنجاز في الوسط المدرسي و الأكاديمي. يبقى أن تشخيص مثل هذه الحالات خطوة هامة نحو الوقاية و العلاج، رغم الإقرار بصعوبة القضاء على المخططات المبكرة المختلة و الأساليب التكيفية- لطبيعتها المتجذرة في الشخصيةو لهذا يتوجب على هؤلاء المختصين اكتساب الكفاءات المهنية اللازمة للتعامل مع هذه السببية الإمراضية

المراجع :

المراجع العربية:

1. عطية، عز الدين جميل (1999): تفسير الناس للسلوك والمواقف من منظور علم النفس المعاصر. عالم الكتب. القاهرة.
2. الديوان الوطني للإحصاء –الجزائر.جانفي 2011

المراجع الأجنبية:

3. Ackerman,P.sL.and Heggestad, E.D. (1997). Intelligence, Personality, and Interests :Evidence for Overlapping Traits. Pssychological Bulletin,Vol.121,No.2,219245-.
4. Chamorro-Premuzic and Furnham(2003) :Personality predicts academic performance: Evidence from two longitudinal universioly samples.Journal of Research in Psychology.37,319338-.
5. Chamorro-Premuzic and Furnham(2006) :Intellectual competence and the intelligent personality : a third way in differencial psychology. Review of general psychology. Vol 10, Issue 3, P 251267-.
6. Cohen, Cyrille (1996) : thérapie de l'échec scolaire. Série : formation NATHAN
7. Gagne,F.and St Pere,F.(2001).When IQ is controlled,does motivation still predict achievement? Intelligence,30,71100-.
8. Lau Shun ; Roeser Robert .W (2002) : Cognitive Abilities and Motivational Processes in High School Students Situational Engagement and Achievement in Science. Educational Assessment.8(2).139162-.
9. Leclerc,M,.Larivee,S.? Archambault, I.?& Janosz. M. (2010).Le sentiment de competence, modirateur du lien entre le QIet le rendement scolaire en mathematiques .revue Canadienne de L Education,33,3156-.
10. Rafoth, Mary Ann (2004): Academic failure, prevention of Encyclopedia of applied psychology. Volume 1.
11. Seldomridge, Liza, A and al (2004): Can success and failure be predicted for baccalaureate graduates on the computerized NCLEX-RN? Journal of professional nursing. Vol 20 (6). PP 361368-.
12. Young, Jeffrey (2005) : La thérapie des schémas, éd de Boek. Bruxelles.
13. Young, Jeffrey. Klosko, Janet. S. (2003) : je réinvente ma vie. Québec. Canada.